مجلة ألف: اللغة، الإعلام والمجتمع، مصنفة في فئة ب

هادية رواق - جامعة محمد لمين دباغين سطيف2ر

المعجم التاريخي للعربية، بين الضرورة العلمية والالتزام الحضاري

Le Lexique Historique de l'Arabe : entre impératif scientifique et engagement civilisationnel

The Historical Lexicon of Arabic: Bridging Scientific Necessity and Civilizational Commitment

تاريخ الإرسال	تاريخ الإلكتروني	تاريخ النشر ASJP
2024-04-05	2024-05-20	06-05 -2024

الناشر: Edile- Edition et diffusion de l'écrit scientifique

إيداع قانوني: 6109-2014

النسخة الورقية : 05-06 2024

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/226

ترقيم الصفحات:306-283

ردمد: 2437-0274

النشر الإلكتروني: https://aleph.edinum.org/11015

تاريخ النشر: 20-05-2024

ردمد-د: 1076- 2437

المرجعية على ورقة

رواق هادية، « المعجم التاريخي للعربية، بين الضرورة العلمية والالتزام الحضاري» | Aleph, 11(3-1) 2024, 283-306.

المرجع الإلكتروني

رواق هادية، « المعجم التاريخي للعربية، بين الضرورة العلمية والالتزام الحضاريا»، | Aleph [En ligne], 2024 URL : https://aleph.edinum.org/11665

© حقوق الطبع والنشر: رواق هادية- لا استخدام تجاري -لا تعديل دولي CC BY-NC-ND 4.0

المعجم التاريخي للعربية، بين الضرورة العلمية والالتزام الحضاري

Le Lexique Historique de l'Arabe : entre impératif scientifique et engagement civilisationnel

The Historical Lexicon of Arabic: Bridging Scientific Necessity and Civilizational Commitment

هادية رواق Hadia Rouag
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 Sétif

مقدمة

إذا كانت المعاجم اللّغوية ملمحا حضاريّا هاما في حياة اللّغات وتاريخ الأمم والحضارات، فإنّ المعجم التاريخي هو المنحنى البياني لتلك المعاجم، والدليل الحيّ الناطق بذلك الملمح الحضاري. لأنّه يرصد المفردات ودلالاتها المتغايرة عبر خطّ الزمن، فيهتم بالقبض على دلالات المفردات وما يقع عليها من تغيّر على مسار الزمن، ومنه فهو رصد لدلالات المفردات لا في حالة الرتابة والسكون فقط، بل حتّى في حالات الحركة والتطوّر والتبدّل. إنّ الفرق بين المعجم العادي والمعجم التاريخي، كالفرق بين الصورة الفوتوغرافية الصامتة وشريط الصور المتحرّك، فلا تُجسّد الصورة إلاّ مظهرا ولحظة واحدة، بينما يقدّم الشريط مشاهد كثيرة للشيء الواحد وفي فترات عديدة متلاحقة.

وقد انتبهت، ثم اجتهدت عديد اللغات الحية المعاصرة في الاهتمام بهذا الباب من أبواب المفردات، بينما زهد قدماء علماء العربية في المعجم التاريخيّ لمفردات اللغة، رغم تفانيهم في التأليف المعجميّ وإمعانهم اللاّمتناهي في جمع مفردات العربية خلال تاريخها الطويل، فانتهت أعمالهم إلى مجاميع متنوّعة من المعاجم المتباينة المناهج والمواضيع والأهداف، لكنّها تفتقر للمعجم التاريخيّ. جدّد علماء العربية في العصر الحديث النظر في الأمر، وقرّ قرارهم على خوض معترك معجم تاريخيّ للعربية، فرسموا الخطوط العريضة وحزموا الأمر على وضع اللّبنات والخطوات الأولى لمشروع المعجم.

العربية التي ضجّت ثرواتها في أشكال متباينة من المعاجم والقواميس، وكانت مفخرة اللغات وأمّها تفتقر للمعجم التاريخيّ! فكان التساؤل المطروح ما هو المعجم التاريخيّ وماهي وظيفته؟ لماذا زهد المعجميون العرب في الاحتفاء بالمعجم التاريخي؟ ولماذا لم يتم التأريخ لمفردات العربية؟ ماهي نظرتهم لفكرة التغيّر التي تلازم اللّغات؟ هل يؤدّي تدوين المفردات دورا في تعطيل مبدأ التغيّر الكامن في اللغة؟ ثم ما هي خصوصية العربية في هذا السبيل؛ سبيل التغيّر والتبدّل؟ كيف تجاوب المحدثون والمعاصرون مع فكرة المعجم التاريخي للعربية؟

االإرسال2020- 04-05 النشر الإلكتروني 20-05-2024 تاريخ النشر 05-06-2024
https://aleph.edinum.org/11665

تتغيّا هذه الورقة البحثية تحقيق هدفين اثنين الأوّل هو مقاربة إشكالية المعجم التاريخي للعربية، وذلك بتقصيّ آراء القدماء وتتبع أبعاد العزوف عن تأليف معجمها التاريخيّ فيما مضي من تاريخ العربية الطّويل، والثاني هو بسط آراء المحدثين وتأكيد حرصهم على خوض غمار معجم تاريخيّ للعربية، يجمع ما تفرّق في مؤلّفات العصور الخاليات، ثم يمتدّ التأليف إلى حاضر اللغة فيكون معجم العربية المفتوح على الماضي تحقيقا والحاضر تدوينا.

1. الإطار العام للدراسة

1.1. المنهج

تنوّعت مناهج البحث اللّغوي من وصفي تقريري قائم على التحليل وتتبع الجزئيات باستقراء الحقائق العلمية حسب قائليها، وتاريخيّ فلسفيّ يُعنى بدراسة العلل والأسباب ويحاول تفسير الظواهر، وإحصائيّ يتتبّع الدقّة والضبط والحساب. والتقيّد بما يخدم الفكرة هو سبيل الورقة ولا يخرج المنهج عن الاتّجاهين الأوّلين، كما أنّه لا يلجأ لأيّ مسلك آخر من المسالك، إنّها بذلك تصف الرأي والشاهد وصفا مباشرا في إطار سياقه الطبيعيّ ورؤية أصحابه وفي سياق عرضه.

2.1. الدراسات السابقة في الموضوع

في محاولة تقفّي آثار المهتمين بهذا السياق البحثي بدا « أوجيست فيشر»(1865-1945م) August fischer من أوائل المهتمين بإشكالية المعجم التّاريخيّ للعربية، من خلال مؤلّفه المعجم اللّغوي التاريخي الذي نشأت وترعرعت فكرته، تزامنا مع إنشاء مجمع اللّغة العربية بالقاهرة سنة1932م. لكنّ عَدَت عاديات الحرب العالمية الأولى على المؤلَّف، وتوفي فيشر دون اكتمال صنيعه الذي كان إعدادا معجميا تطبيقيا على بعض مفردات العربية، ومنه لم يُنشر المؤلَّفُ كاملا خلا المقدمة وحرف الهمزة، وقد تأخّر الأمر إلى سنة 1967م.

أمّا في مجال التنظير فقد نبّه المحدثون على أهمية المعجم، فوضع عبد الله العلايلي مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، الذي طُبع في المطبعة العصرية وكان توجيها جديدا لمعجم العربية التاريخيّ، يدعو فيه إلى المبالغة في التحرّي والزيادة في التنقيب ومراعاة صحّة الدلالة بتغيّراتها عبر الزمن، فعُدّ كتابه تنظيرا واضحا للمعجم التاريخيّ للعربية.

- أرشد الأب أ س مرمرجي الدومنكي (1881 ت1963م) في كتابه المُعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية، إلى أنّ الشروط الضرورية لتدوين المعجم العربي تدوينا عصريا، يقتضي تبنّي نظرية الثنائية الألسنية الساميّة، فهي بجميع وجوهها

من أنجع الذرائع لإصلاح المعجمية العربية، ومن أبرز المطالب اعتماد التوجيهات، ذكر المصادر، دعم الأقوال بالنصوص اللغوية.

- قارب محمد رشاد الحمزاوي إشكالية المعجم التاريخي للعربية، فصرّح بنفور القدماء من ربط العربية بالسّاميات وقضايا الأصول والفصائل والتأثير والتأثّر والتداخل، فبدت معاركهم محتدمة من خلال كتب الدخيل والمولّد والمعرّب والأعجميّ، وتحدّث الحمزاوي عن إقرار القدماء بمفهوم المدوّنة الذي هو مفهوم حديث نسبيا، والدليل هو اعتماد ابن منظور في لسان العرب على تهذيب الأزهريّ وصحاح الجوهري ومحكم ابن سيّدة وحواشي ابن بريّ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير. ورأى بأنّ هذه المعاجم بعصورها المتباينة، قد شكّلت المعالم الكبرى لتعاقب التاريخ على العربية، وكأنّي به يقول أنّ مجموع تلك المعاجم هو عمل يكاد يؤدّي وظيفة المعجم تاريخي.
- أحاط محمد حسن عبد العزيز وهو من أوائل المهتمين بهذا الباب من أبواب المعجمية العربية، في كتابه المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج، الصادر عن مطبعة دار السلام، بتاريخ 2008م. أحاط بقضية المعجم التاريخي للغة العربية من ثلاثة أبعاد متقاطعة، وعُدّ المؤَلَّف إحاطة شاملة بالمعجم التاريخي للعربية. أوّل الأبعاد هو جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في التأسيس لفكرة المعجم التاريخيّ للعربية، وفيه حديث عن نشأة الفكرة، وثاني الأبعاد هو تقفّي آثار معاجم تاريخية سابقة في اللغات الأوروبية بتقديم بعض نماذجها كمعجم أكسفورد التاريخيّ للغة الإنجليزية والمعجم التاريخي للغة الفرنسية، وعاد بعدها لجهود اتّحاد المجامع اللغوية العربية مجتمعة، وذلك توثيق الملتقيات والمذكّرات والمقترحات والبرامج والإعدادات المختلفة وأبرزها إعداد المحرّرين المؤهّلين، والثالث هو نماذج تحليلية لبعض المفردات العربية، وذلك بتتبّع ملمح التغيّر الذي هو أساس فكرة المعجم التاريخي، ولولا التغيّر لما دعت الحاجة للمعجم التاريخيّ، كما تطرّق لمسألة الصناعة الآلية للمعجم والتي هي نقطة إيجابية بنّاءة، فتحت المعجم التاريخي على مُمكنات هائلة وآفاق إبداعية وتنظيمية عالية.
- قدّم الشاهد البوشيخي نموذجا تطبيقيا بعنوان نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المُعرّفة، شرح فيه جملة المصطلحات وبيّن أهداف المعجم ومصادره وترتيبه ومراحل الإنجاز، مع عرض تطبيقي لبعض النماذج، عمد إلى شرح بعض المصطلحات بتتبُّع التعاريف الموضوعة من طرف أعلام الشريعة، قاصدا تتبع النسق المفهوميّ للقرآن الكريم والذي لا يتأتّى إلاّ بتتبّع مصطلحاته جملة وتفصيلا.

تلك هي أبرز المحاولات التي تم الاطّلاع عليها في سياق الورقة البحثية، على أنّ هناك جهودا أخرى بُذلت في هذا السبيل منها ما قدّمه ابن مراد رائد المعجمية العربية الحديثة وغيره.

2. المعجم التاريخي للغة العربية: الوظيفة والخصوصية الحضارية والآفاق والتحدّيات

1.2. المعجم التاريخيّ الضرورة والدواعي وخصوصية العربية

1.1.2. وظيفة المعجم التاريخيّ وشرعية وجوده

ذهب إبراهيم السّامرّائي إلى القول : « بأنّ الناس لا يشعرون وهم يتكلّمون لغة معيّنة أنّها تختلف عن اللغة نفسها في جيل عفا عليه الزمان »[1]. إلاّ أنّ في ألفاظ حياتنا اليوم مفردات كثيرة تمثُلُ شاهدة على التغيّر والتبدّل في حياة الناس والكلمات، وإنّ ما نستعمله من مفردات في محيط حياتنا اليوم يختلف قليلا أو كثيرا عمّا كنّا نستعمله منذ أربعين سنة خلت، فالثابت أنّ ملامح وأدوات وأفكار الحياة تبدّلت وتبدّل معها قاموس الكلمات في استعمالنا اللّغويّ، قاموس يعبّر عمّا تجدّد من زوايا الحياة وهذا التغيّر تتبدّل في أعقابه دلالات الكلمات ولا شكّ. ومنه لابدّ أن تكون الألفاظ في كلّ لغة من اللّغات قد مرّت في تاريخها الطويل أو القصير بالكثير من الأحداث، تغيّرت فيها الكلمات وتحوّرت دلالاتها بين رقيّ وانحطاط ورفعة وابتذال وموت وحياة وهو حكم اللغات وقانون الكلمات، التي يتحدّد تاريخها بما مرّ عليها من أحداث في عصورها المتعاقبة وأحقابها المتطاولة. لذلك ظهرت فكرة المعجم التاريخي الذي جاء لوظيفة محدّدة وهي :

> «تقديم وصف موضوعيّ لمفردات اللغة إمّا في حالتها الراهنة ويطلق على هذا المعجم نعت «الوصفي» ، أو كما كانت في فترة سابقة أو أكثر من فترات وجودها ويسمّى هذا المعجم ب «التأريخيّ» وقد أُطلق على المعجم التأريخيّ عدد من النعوت مثل «الفرضي» Prescriptive و«المعياري» Normative و« التعليمي » « Didactic، وما شابه »[2]

ومنه فإنّ تسمية المعجم تتحدّد حسب الوظيفة وهدف التأليف.

تتحدّد وظيفة المعجم التاريخي للغة من طبيعته الذاتية وفلسفته التكوينية، فعمله عبارة عن ترصُّد لبقايا التاريخ في الدلالة الزمنية للكلمات؛ يتعقّبُها ويتتبّعها من فترة زمنية إلى أخرى، ويتدرّج في رصد الدلالات منذ أقدم زمن تمّ العثور فيه على شيء من الدلالة في تلك المفردات، مُضيًّا إلى ما تعاقبت عليه الأجيال استعمالا في طبقات الأزمنة، سيرا إلى حاضر اللغة. ومؤلّف؛ جامع وواضع ومرتّب المعجم التاريخيّ، ينحت موادّه المعجمية من كل ما تقادم عهده ممّا اقترحه العلماء والكُتّاب والأدباء والمفكرون، أو ما ابتدعه العامّة وأثبته المؤرّخون، وكلّ الذي رصدته المعاجم العامّة والمتخصّصة فيما

1. السامرائي، إبراهيم. 1981. التطور اللغوي التاريخي. ط2. بيروت لبنان: دار الأندلس. ص 27.
2. القاسمي، علي. 1991. علم اللغة وصناعة المعجم. ط1. المملكة العربية السعودية: عمادة شؤون المكتبات. جامعة الملك سعود. ص41.

سلف، دون أن ينسى وضع وترتيب حساب الزمن في عملية الجمع، لأنّ عملية استخراج الدلالات المختفية من بقايا الألفاظ المتبقيّة، هي عملية استقراء للكلمات التي هي آثار تاريخية، يعتورُها الغموض والتداخل والضبابية والتعتيم، وهذا يتطلّب الصبر على حلّ أقفال المفردات، بكلّ ما يكتنفها من خلاف ترسّب على مدار حياة الكلمات، فجعلها تتلامح بمواصفات الحضور والغياب والظهور والخفاء وما إليه ممّا يقع على كلّ قديم، حتى إذا وصل الباحث إلى رصد دلالات المفردات في حاضر اللغة، باشر العملية بطرق أوضح وآليات أخرى، لأنّه يبحث في معان حاضرة فيكون المعجم وصفيا، وسيصير بدوره وثيقة تاريخية لمستقبل اللغة.

وبه يأتي تحديد دلالة الكلمة المفردة مع تاريخ تطوّرها، على رأس الصعوبات في رصد مادّة المعجم التّاريخيّ وجمع مفرداته، وقد وضّح ماريو باي الأمر بالقول: « إنّ أهم المشاكل المرتبطة بالمفردات، هي ما يتصل بالدلالة المفردة لكلّ كلمة semantica وتاريخ الكلمات وتطوّرها Etymology، وكلا الموضوعين وخصوصا ثانيهما يمثّل مكانة هامّة لدى عالم اللغة التاريخيّ لا الوصفيّ »[3]. ولعلّ هذا الإشكال والتعتيم الذي يتلاعب بمفردات اللّغة، هو ما يعطي شرعية وضرورة الوجود للمعجم التاريخي.

2.1.2. سيرورة حياة الألفاظ بين التغيّر والثبات وصعوبة رصد تاريخها

إنّ وصف اللغة بالحياة يقتضي الحديث عن تغيُّرها، فهل التغيّر حتمية تطرأ على اللغات والكلمات؟ التغيّر اللغويLinguistic Change هو كلّ تغيّر يصيب لغة ما بفعل العوامل الداخلية والخارجية التي تطرأ عليها[4]. وهذا المصطلح يستتبع مصطلحا آخر هو التغيّر الدلالي Semantic change؛ وهو أن يتغيّر معنى كلمة خلال الزمن بفعل الانحطاط أو التوسّع أو المجاز مثل: كلمة بهلول التي كانت تعني الشجاع والكريم والجواد الفارس، واليوم تعني الضحّاك أو المجنون أو البسيط[5]، ولا يحدث « التطوّر التاريخي للدلالة »[6] إلاّ لتغاير الأزمنة والأحوال واختلاط اللّغات والثقافات ونشوء الحاجة « وهي العامل الثاني في تطوّر الدلالة »[7]. لذلك يحدث التغيّر في اللغات جميعها، فكلمة أدب التي دلّت في عربية الجاهلية على الدعوة إلى مأدبة الطعام ودلّت في الإسلام على الخلق النبيل،

3 .باي ماريو Pei Mario. 1998. أسس علم اللغة. ت: أحمد مختار عمر. ط8. عالم الكتب. ص55.

4 .مبارك، مبارك. 1995. معجم المصطلحات الألسنية. فرنسي إنجليزي. عربي. ط1. بيروت لبنان: دار الفكر اللبناني. ص46.

5 .مبارك، مبارك. 1995. معجم المصطلحات الألسنية. فرنسي إنجليزي- عربي. ط1. بيروت لبنان: دار الفكر اللبناني. ص47.

6 .السّامرّائي، فاضل صالح. 2000. معاني النحو. ج1. ط1. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ص12.

7 .أنيس، إبراهيم. د.ت. دلالة الألفاظ. د.ط. مكتبة الأنجلو المصرية. ص145.

انتقلت اليوم للدلالة على كلّ إنتاج في الثقافة والفكر والإبداع عموما، كما تدلّ على نصوص تحمل صفة الأدبية بركنيْ الشعر والنثر خصوصا.

ولأنّ التغيّر في حياة الكلمات يكون سلبا وإيجابا، كان اتّجاه اللغة في رحلتها سلوك «طريقين مختلفين أو قل طريقين متضادين، فهناك ميل نحو انقسام اللغة الواحدة إلى لغات ولهجات، وهذا مسار سيء ينتهي إلى موت اللغة، كما يوجد ميل نحو التوحّد اللّغوي والتجميع في لغة مشتركة »[8]

وهو مسار يزيد من قوة اللغة وإحكامها، وفي الأخير نجد أن التغيّر يتحكّم بقوّة في سيرورة اللّغة، ونمط حياة المفردات فيها فهو يتحكّم سلبا وإيجابا، وفي ظل هذه الحركة الطبيعية من حركات اللغة، نجد أنّ القبض على تطوّر دلالات الكلمات غير واضح في الجملة، وهو من الصعوبة بما كان، لأنّ التغيّر لا يسير على نسق متجانس بحيث يتمّ الوصول إليه بالطرق الآلية أو الحسابية الدقيقة. إنّه يحدث ولكنّ يصعب تحديد زمن الحدوث، فهو كالنبتة تنمو ولا نستطيع رصد لحظات نموّها، رغم أنّنا نلاحظ تبدّلها من فترة زمنية إلى أخرى، فالدلالة مرتبطة أبدا بالمستعمل وكلّ ملابسات الاستعمال، ومنه فإنّ القبض على الدلالة المحدّدة للمفردات، لابدّ أن يكون في وضع اجتماعي معيّن، باعتبار أنّ المجتمع هو المحضن الطبيعي الذي تترعرع فيه اللغة، وذلك في ظروف استعمال متباينة متماهية مع الأحداث في التاريخ. وهي لا تسير بطريقة مكشوفة قبل الحدوث، كما لا يستطيع أحدٌ التنبّؤَ أو التعرّف على الدلالة التي ستؤول إليها كلمة ما، فلكلّ سيرورة في حياة لغة من اللّغات سياقاتها وتاريخها الخاص الذي يتطابق مع أحداثها، حاول فاندرياس أن يحصُر السيرورة بالتفريق بين معلمين هامّين من معالم تطوّر اللغة، الأوّل هو أنّ اللغة دائمة الخضوع للحياة في تطوّرها الذي لا يتوقّف عند حدّ من الحدود ويكون عدم ثبات دلالة المفردات، علامة مائزة لأولئك المستعملين الذين يستخدمون اللغة للتعبير عن حياتهم الخاصة، وهذا أصل في اللغة كما وصّفه فاندرياس. بيد أنّ هناك حالة أخرى عدّها حالة عرضية، تتمثّل في اتّجاه اللّغة إلى التوحيد ومقاومة التفريق كما هو الحال في اللغات المشتركة، وهو ما يسمح للغة بأن تعيد التوازن والاطّراد وهذا المعلم؛ معلم الاطّراد هو صناعة اجتماعية بامتياز[9]. وهو الأمر الذي أوحى للمعجميين الوصفيين قديما وحديثا بأن يتّخذوا من «الدلالة الاجتماعية للكلمات، هدفا أساسا في جمعهم لمواد المعاجم وما الدلالة المعجمية في اعتبارهم إلاّ دلالة اجتماعية »[10]. ممزوجة بالعوامل التاريخية والحضارية التي تُساق في حياة الأمم والشعوب.

8. السامرائي، إبراهيم. التطور اللغوي التاريخي. ص32-31.
9. فاندرياس. د ت. اللغة. ت: عبد الحميد الدواخلي. ومحمد القصاص. مكتبة الأنجلو المصرية. ص7-6.
10 .أنيس، إبراهيم. 1976. دلالة الألفاظ. ط 3. مكتبة الأنجلو المصرية. ص51.

ومنه فإنّ البحث في تاريخ الكلمات هو عملية تحرٍ دقيق وسبر لأغوار الكلمات في تاريخها الطويل، وهي تقتضي جهدا كبيرا، ولعلّ الرّافعي قد عبّر عن هذه المشقّة بلغة واصفة دقيقة حين جعل الصبر على تقليب طبقات الأرض بترابها وصخورها المتراكمة لاستخراج الذهب والمعادن، أهون من الصبر على فض رموز الكتب وفتح أقفال المعاجم، لاستخلاص الدلالات التي تعاقبت على المفردات فيما مضى من أزمنة التاريخ وهو باب الصعوبة في جمع مواد المعجم التاريخيّ كما أسلفنا.

3.1.2. خصوصية العربية ومزية الوحدة الاجتماعية والتاريخ المشترك

لا خلاف في أنّ طبيعة الفروق بين مفردات اللغات بمختلف فصائلها، كطبيعة الفروق بين الجهات التي تنتمي إليها اللغات، إذ لكلّ لغة جهة خصوصيتها في الوجود والتاريخ، ومنه فالمنطق أن تتباين اللغات ويتباين تاريخ الكلمات، كما تتباين الأمم والشعوب بمجتمعاتها وتواريخها الفعلية وأحداثها الحقيقية وحتّى في أمكنتها وجهاتها، فاللغة « نتاج اجتماعي »[11]. بالدرجة الأولى وهي المحدّد الأقوى لعنصر الاجتماع، غير أنّ لكلّ لغة نظامها وبنيتها، وما على عُرى التاريخ إلاّ أن تضع بصماتها وآثارها على الكلمات فتطبعها بطابعها، وإنّ غياب المقاييس المشتركة والفهم الموّحد للمفردات في أذهان المستعملين لا يُوحّد اللغة، ومؤدّى الطريق هو الاختلاف والنزاع العقيم بين أفراد الجماعة المستعملة، لذلك كان توحّد المفاهيم وضبطها بالألفاظ هو خصوصية الشعوب في لغاتها. ما يؤسّس لهذه الفكرة تأسيسا علميا معاصرا، هو ما ساقه جورج ماطوري في منهجه المعجميّ المعاصر والذي عُرف « بمعجمية المفاهيم والتصوّرات» أو«المعجمية الاجتماعية» وفي مصطلح آخر سماها « المعجمية الحقولية » لأنّها تقوم على تصنيف المفردات في حقول دلالية قائمة على أساس التصورات والمفاهيم الاجتماعية، التي يتبناها مجتمع ما في الزمان والمكان[12]. الشاهد فيما تقدّم ذكره من علاقة اللغة بمجتمعها المنتج هو اللغة العربية، فقد تعاقب على العربية تاريخ طويل من الانقسام اللهجيّ، امتدّ في الزمان والمكان فكانت القبائل العربية مدارا زمانيا ومكانيا ترعرعت فيه أشتات اللهجات زمنا لا يُعرفُ مداه في القدم، ثم اتّجهت العربية بعد هذا للنموّ والصفاء؛ صفاء العربية المشتركة من خلال الأسواق الأدبية بوصفها مصفاة لغوية، ثم تمّ التوحّد بنزول القرآن وازدهار حضارة العرب زمنها الأوّل، لذلك جعل السّامرّائي « البحث في تاريخ القرآن يدلّنا على أنّ لغة القرآن قد طبعت العربية بطابع واضح مبين وقضت بذلك على آثار اللّهجات

11.دي سوسير، فرديناند. 1986. محاضرات في اللسانيات العامّة. ت: يوسف غازي مجيد النّصر. الجزائرية للطباعة. ص21.

12. ماطوري، ج. 1993. منهج المعجمية مع مقدمة للمولف خاصّة بالقاريء العربي. ت: عبد العلي الودغيري. الرباط المغرب: مطبعة المعارف الجديدة. ص6.

الإقليمية »[13]. وبه فقد حافظت العربية إلى ذلك الزمن على قوّتها ووحدتها اللّغوية، ومُنعت من التشعّب أو السير إلى ما سارت إليه لغات أمم كثيرة من تباين اللّهجات، فالمشاركة الاجتماعية وسيلة أساسية لتحقيق التوازن والاطّراد. وهو ما تجسّد في اللغة العربية بامتياز إذ توحّدت دلالات المفردات توحُّدا قلّ أو انعدم نظيره في جميع الكثير العالم القديم والحديث، وقلّما وُجدت هذه الخصوصية النوعية، التي هي برتبة مزيّة في تاريخ العربية في تاريخ أمّة من الأمم الأخرى، في علاقة لغاتها بدياناتها ومجتمعاتها، بالشكل والتلاحم الذي أفرزه العرب وقبضت عليه العربية، إذ « الجماعة والأمّة لها طابعها الخاصّ الذي يطبع الأفراد؛ طابع الأمّة يطبع اللغة سواء أكانت لغة مشتركة أم لهجات أم لغات خاصة »[14].

فتوحُّد اللغة هو ناتج حتميّ لتوحّد جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والأخلاقية والعقلية في تاريخ الحياة العربية، وكلّ تلك القيم والمفاهيم بما فيها من محامد ومكارم ومآثر وعصبية وانتماء وتحيّز، هي ميزة مازت العرب عن غيرهم من الأمم والشعوب، وجعلتهم أمّة واحدة توحّدت بفعل عوامل التاريخ والاجتماع والجغرافيا المشتركة، و« صهرت عاداتهم ومفاهيم الشرف عندهم في بوتقة واحدة. »[15] وفي النهاية توحّدت المفردات الدالّة على تلك الأحداث وارتبط العرب بالعربية لغة وشعرا وقرآنا. هذا الارتباط الوثيق بين الحياة وألفاظها زكّته مراحل زمنية متباينة، منها الملمحُ الثقافيُّ الفعّال في تاريخ العرب والعربية؛ ملمح الأسواق الأدبية التي كانت آلة فعّالة لنمو العربية المشتركة، ومسرحا حيّا لعمليات الانتخاب والتنقية والإضافة والطرح للمفردات في لغة الأفراد في مختلف مناحي الحياة، داخل قبائلهم المتشابهة المترامية في جاهليتها، والمتحلّقة حول القرآن بلغة قريش في إسلامها، مع بروز نظام نحويّ مشترك للعربية، استخلصه علماؤها في النظام النحويّ لاحقا، والذي عُرِفَ بمدارسه النحوية المتعدّدة، ثُم ما لبِث أن وُصِف عند المتأخرين بالمدرسة الواحدة، ووُسِم بالوحدة والتنوّع[16]. إنّ هذا النمو المشترك هو الآلة الحقيقية في تكوين « وحدة لغوية ارتبطت بها عواطف القوم ارتباطا وثيقا »[17] وعلى ذلك عاشت العربية قديما فهي في أوطانها لغات هذيل وتميم قيس وطيء

13. السامرائي، إبراهيم. التطور اللغوي التاريخي. ص57.

14 .فاندرياس. اللغة. ص8.

15 .بروكلمان، كارل. 1968. تاريخ الشعوب الإسلامية. تح: منير البعلبكي. نبيه أمين فارس. ط5. بيروت لبنان: دار العلم للملايين. ص26.

16. حمزة، حسن. 2012. الوحدة والتنوُع في نظرية النحو العربيّ. دراسة ومعجم. الطبعة الأولى. لبنان: مكتبة لبنان ناشرون. ص.. ..

17 .ترزي، فؤاد حنا. د ت. في أصول اللغة والنحو. دط. م ط. بيروت لبنان: دار الكتب. ص39.

وقريش، لكنّها إذا خرجت من ديارها فهي العربية، وفي العصر الحديث مازالت العربية على ذلك الحال فهي في دولها الحديثة لهجات مصر والمغرب والجزائر وسورية والسودان وقطر.. لكنّها إذا خرجت إلى المحافل والتجمّعات الدولية خلعت خصوصياتها اللهجية وصارت العربية الفصحى الحديثة.

ولمّا كانت الرسالة الخاتمة بلسان عربيّ مبين ازداد تلاحم اللغة كما تلاحمت عواطف القوم، وفُتحت اللغة على آماد مديدة وجغرافية بعيدة، فانبعثت اللّغة مع رسالة القرآن إلى ما شاء الله، ومنه فإنّ خصوصية المفردة في المعجم العربي متعددة الأبعاد، إنّها بعد لغوي وبُعد رساليٌّ وتاريخ اجتماعيّ مشترك، تقلّبت الجماعة اللّغوية بين جنباته أزمنة وأحقابا، وهذا ما جعل المفردة ترتبط بمجتمعها العربي عموما وبمحيطها المنتج ارتباطا دلاليا ونتاجا اجتماعيا، صَفَت منه العربية المشتركة التي هي ميراث الأجيال عبر التاريخ، فهي ملك عام ولا يجوز التصرف فيه بغير وجه حقّ، وفي العصر الحالي تبذل بعض الدول والهيئات العربية جهودا جبّارة لإعادة النظر في المعجم التاريخيّ للعربية.

4.1.2. شواهد لتغاير أوضاع المفردات في العربية وتلوُّنها بروح العصور التي مرّت بها

يحدث التغيّر بعدّة أشكال منها حياة وموت المفردات بفعل العوامل المتجدّدة في التاريخ، وقد تجاوبت العربية مع متطلبات كلّ مرحلة من مراحل تاريخ العربية الطويل، فطاوعت العربية مستعمليها في كلّ استعمالاتهم المتباينة وأزمنة حياتهم المتغايرة. فقد استخدم العرب في جاهليتهم عبارات ك « خلاك ذم، ثكلتك أمُّك، أبيت اللّعن لا أبا لك»[18].وهي عبارات جاهلية المعنى استخدموها في جاهليتهم دون إحراج أو مضض، لكن بنزول رسالة القرآن تغيّر فكر القوم وأدركوا أنّها عبارات لا تليق بلغة من يدين بالإسلام، فضلا عن أن تليق بالمؤمن الذي ينشد السموَّ والرّفعة في أخلاقه. وفي هذا السياق حكى صاحب الوساطة عمّا فعله التحضّر في شعر العرب وكلامهم، فنتيجة اتّساع الحواضر العربية، فشا التأدّب، وابتعدت الألسنة عن نابي الألفاظ واختير من الكلام مارقّ وتُرك دونه، فقد كان العرب يعرفون من الألفاظ « العشنّط، العنطنط العشنّق،الجسرب، الشوقب، السّلهب، الشوذب، الطاط، والطوط، والقاق، والقوق، فنبذوا جميع ذلك وتركوه واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان »[19]. إنّ عوامل جديدة جدّت في حياة العرب بعد نزوعهم إلى الحواضر الإسلامية جعلتهم يفضلّون الرقّة بدل الخشونة والخفّة بدل غلظة البادية، والنتيجة أن نامت ثم غابت تلك الألفاظ بدلالاتها الأثرية وأصبحت تلك

18 .حسّان، تمّام. 1998. اللغة العربية معناها ومبناها. ط 3. عالم الكتب. ص19.

19.الجرجاني، القاضي علي عبد العزيز. 2006. الوساطة بين المتنبّي وخصومه. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. ط1. صيدا بيروت. لبنان: المكتبة العصرية. ص25.

المفردات مواتا، وثم لم يحي منها إلاّ ما اقتضته الحاجة والاستعمال واليوم لا يمكننا معرفة الدلالة الدقيقة لعشنّط والعنطنط والطوط مثلا، وهل كانت تُطلق على الإنسان أم الشجر أم الجدار أم عمود الخيمة؟ فلا يُعرف الوجه الدقّيق لاستعمالها إلاّ الذي يحدّده تاريخ الكلمة استعمالا.

ومن الشكل الثاني تحوُّل دلالات ومعاني المفردات القديمة التي عرفها العرب في جاهليتهم، فبفعل القرآن الكريم انتقل المجتمع إلى حال أخرى وقاموس آخر فيه ألفاظ

> «الأذان والصلاة والخشوع والركوع والسجود والدعاء» وهي ألفاظ لم تعرفها العرب إلاّ على غير هذه الأصول، لأنّ الأفعال التي كانت هذه الأسماء لها لم تكن فيهم، وإنّما سنّها النبيّ وعلّمه الله إيّاها فكانوا يعرفون الصلاة أنّها الدعاء» 20.

وهذا هو التغير الذي يغير روح المفردات، حتّى وإن حافظت على أشكالها. وفي ذلك تحدّث ابن فارس في باب الأسباب الإسلامية عن تغيّر فكر القوم من إرث أحاديث الجاهلية، إلى مسائل فقهية تتعلّق بالحياة الجديدة كالمنبرية والمشتركة والمباهلة والأكدرية والغرّاء وهي أمور في الفقه، فتعجّب ابن فارس من أمرهم وذكر في سياق ذلك قوله: «ونقلت من اللّغة ألفاظ كثيرة من مواضع إلى مواضع أخر، وكان ممّا جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق» [21]. وقد عهدوها لمعانٍ أُخر، الكفر التي دلت قبلا على الغطاء والسّتر والصلاة التي دلّت على الدعاء والمحوّل هو القرآن الكريم. فالتاريخ الإسلامي أحيا ألفاظا كانت ميّتة، وأمات كلمات كثيرة كانت تعجّ بالحياة، فلقيت هذه الألفاظ في المجتمع الجديد شيوعا وذيوعا. وإذا كانت اللغات في عمومها تختلف من حيث مفرداتُها وطرائقُ التركيب وصيغها التعبيرية، فلابدّ أن تكون لكل لغة شخصيتها التي تجعلها «عنصرا رئيسا من عناصر الحضارة التي تكتنفها تتطبّع بطابعها وتتلون بلونها» [22]. ومنه فإنّ «أنجع وسيلة للباحث عن أصل الكلم أن يتتبّعها في مظانّ ورودها ويشارف تطوّر أحوالها» [23]. ويتتبّع أزمنتها وتواريخها كما أنّ منطق النقاء اللّغوي

20. الرّازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان. 1994. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية. ت: حسين بن فيض الله الهمداني. صنعاء. اليمن: مركز الدراسات والبحوث اليمنيّ. ص151.

21.ابن فارس، أبو الحسين أحمد. 1963. الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها. تحقيق: مصطفى الشّويمي. بيروت لبنان: بدران للطّباعة ص79.

. 22القاسمي، علي. 2019. علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية. ط2. بيروت لبنان: مكتبة لبنان ناشرون. ص22.

23 .الدومنكي، الأب أ س. 1937. المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية. مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس. ص52.

والفصاحة والسّليقة والطّبع كانت مقاييس مقدّسة في العربية، توفرّت للعرب الخلّص بمختلف لهجاتهم لكن «لمّا كثر الإسلام وانتصرت الدّعوة وانتشرت، حضر أكثرهم، وسكنوا الأرياف وفارقوا البدو وخالطهم الباقي، وامتزج كلامهم بمن جاوروه من الأنباط وعاشروه من الأعاجم، عَدِم منهم الطّبع السّليم الذّي كان قبل هذه المخالطة» [24].

الشاهد في كلّ ما تقدّم من أمثلة أنّه في كلّ مرّة يُعاد وضع اللغة أوضاعا جديدة، ويغدو تاريخ الكلمات مشبّعا بروح العصور التي مرت بها والمجتمعات التي لهجت بها، لذلك نادى جورج ماطوري مرّة أخرى بفكرة «المعجمية المتحرّكة» وهي التي يتم فيها «حصر الدلالة بين نقطتين تحدّدان حقبة معيّنة» [25]. سقنا هذه الشواهد من الألفاظ تأكيدًا على فكرة أنّ «خصائص الأمّة العقلية، ومميّزاتها في الإدراك والوجدان والنزوع ومدى ثقافتها، ومستوى تفكيرها ومنهجه، وتفسيرها لظواهر الكون وفهمها لما وراء الطبيعة كلّ ذلك وما إليه ينبعث صداه في لغتها» [26].

2.2. خدمات وصعوبات قديمة في سبيل المعجم التاريخي المنشود

1.2.2. عزوف القدماء عن تدوين لغات العرب وأصولها الساميّة والتأريخ لمفردات العربية

انتبه القدماء لأمر تغيّر العربية عهد شبابها الأوّل وعلاقتها بالساميات، فقد أورد ابن حزم في الإحكام قوله :

> «إنّ الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أنّ السريانية والعبرية والعربية، التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير. واحدة تبدّلت بتبدّل مساكن أهلها فحدث فيها جرس كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام لغة أهل القيروان ومن القيرواني إذ رام لغة أهل الأندلس» 27.

والسبب عنده لا يبعد أن يكون مجاورة تلك الأمم لأمم أخرى تخالفها، ورغم إدراك علماء العربية لتلك الحقيقة إلاّ أنّهم عزفوا عن تدوين الأصول السامية، فضلا عن تدوين اللهجات العربية المختلفة، فلم يُثبتوا في مؤلّفاتهم من تلك الأصول واللهجات إلاّ القليل. ومع ذلك فهي تزخر بموادّ ومفردات لا نجدها في معاجم أخواتها الساميات. فألفاظ شهور السنة العربية الجاهلية كواغل وناجر وناطل، التي اعتاضت عنها العربية بألفاظ إسلامية شعبان، ورمضان وشوّال.. قد أوردها المؤرّخون واستعان بها المستشرقون

24. البغدادي، عبد القادر بن عمر. 1969. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. ت: عبد السلام هارون. ج1. بيروت لبنان: دار الكتاب العربي. ص204.

25. ماطوري، ج. منهج المعجمية. ص10.

26. وافي، علي عبد الواحد. 1983. اللّغة والمجتمع. ط1. شركة مكتبات عكاظ. ص18.

27. ابن حزم. أبو محمد علي بن أحمد.د ت. الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق: أحمد محمد شاكر ج1.

لفك رموز أسماء الأشهر اليمنية الواردة في نقوش ما قبل الإسلام[28]. وهذا قدر يسير من المفردات والأمثلة التي تتطلّبها حاجة الباحث عند الشاهد والضرورة، فهم لم يعتبروها اعتبارا تاريخيا ولم يُدوّنوها، وهذا الأمر يصعّبُ جمع مادّة المعجم التاريخيّ الحديث.

لقد جعل الرّافعي هذا العزوف بسبب المعاصرة، إذ حظي القدماء بمعاصرة تلك اللغات وخالطوا أهلها فاستنكروا بعض اللهجات ونعتوها بالعيوب، ومن ثمَّ استغنوا عن توريث تاريخها لمن بعدهم، استنكر الرافعي عزوفهم، والرأي عنده أن لو كان هناك من اشتغل بتدوينها وجمعها لكانت تلك الاختلافات التي كانت ستُستقصى من لهجات العرب، أساسا متينا لعلم صحيح في تاريخ اللغة، ولكانت توثيقا دقيقا لدلالات مفرداتها، وهي بعد ذلك مادّة أساسية للمعجم التاريخيّ المنشود، ولصار ذلك التدوين وثيقة يتمّ الرجوع إليها على تقادم الأزمنة وامتداد عصورها[29].

ومع ذلك فإنّ أهداف المتقدمين من علماء العربية كانت واضحة، فتعصبهم للعربية كان شديدا، لدرجة الاعتقاد بسموّها فوق لغات البشر قال الرّازي:

> «لم يحرص النّاس على تعلّم شيء من اللّغات في دهر من الدّهور، ولا في وقت من الأوقات كحرصهم على تعلّم لغة العرب، لكمال لغة العرب ونقصان سائر اللّغات» 30.

وهذه النظرة الفوقية كانت دافعا للاعتداد بالفصيح والتفاخر به والخوف على ذهابه، لذلك أكّدوا أنّهم «يقعّدون لهذه العربية التي تصلح لفهم لغة القرآن، فالبحث عن نقاء اللّغة وفصاحتها كان غاية من غاياتهم في الجمع اللّغوي»[31]. منذ بداية عصر التدوين والتأليف المعجميّ، اهتمّ المعجميون بدلالات المفردات الفصيحة متجنّبين ما تفرّق من المعاني في القبائل والكثير من المعاني الجاهلية، وحتّي تلك الدلالات التي تربط اللفظ بالأصول الساميّة، فنظرتهم نظرة اجتماعية، وأرادوا ربط المفردة بالمجتمع العربي دون غيره والعقيدة الجديدة دون سواها. ولنا في ذلك أمثلة كثيرة لفظة «الحج» التي هي في المعاجم العربية بمعنى القصد والتوجه وترتبط بأصولها السامية، العبرية، الإرمية، السريانية عن طريق الجذر الثنائي «حك»، هو اسم صوت حركة الرقص

28. فريحة، أنيس. 1981. نظريات في اللغة. سلسلة الألسنية. بيروت. لبنان: دار الكتاب اللبناني. ص99-98.

29. الرّافعي، مصطفى صادق. 1997. تاريخ آداب العرب. مراجعة وضبط: عبد اللّه المنشاوي. مهدي البحقيري. ج1. مكتبة الإيمان. ص116.

30. الرّازي. الزينة في الألفاظ الإسلامية. ص75-73.

31. الرّاجحي، عبده. د.ت. النحو العربي والدّرس الحديث. عن محمود أحمد نحلة أصول النحو العربي. ص49.

وهو أوّل طور لمعاني كلمة «حج» أو «حك»، وقد بترت المعاجم العربية هذا المعنى بترا مقصودا وركّزت على المعنى الذي شاع في جزيرة العرب، فالذي أدركه العرب الذي سجّلوا معاجمها، هو أنّ الحج ركن وشعيرة متواترة عن الحنيفية الإبراهيمية، رسّخها القرآن الكريم بفريضة الحج فلا معنى للكلمة إلاّ «القصد أو الاتّجاه أو الزيارة أو التردّد، من باب الإطلاق؛ ومعنى الذهاب إلى مكّة، قصد النسك من باب التقييد» [32].

وربّما لو أنّهم فعلوا لوصل الأمر في النهاية إلى الاختلاط والتشعّب، ولا نحتاج إلى كبير اجتهاد لملاحظة نتيجة تركيزهم على الفصحى التي تنمو على قواعد السلامة، وعدم الاهتمام باللهجات التي من طبعها التبدّل والتغيّر الكثير لأنّ ألسنة العامّة تلوكها فتُفسدها، ونحن نرى اليوم كيف

> «اتّسعت مسافة الخُلف في اللّهجات المنشعبة عن العربية الحديثة، حتّى أصبح بعضها شبه غريب عن بعض، فلهجة العراق ولهجات شمال إفريقيا في العصر الحاضر مثلا يجد المصريُّ بعض الصعوبة في فهمها، غير أنّه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغويّ بقاء العربية الأولى لغة أدب وكتابة ودين» 33

وهذا ما يبرّر تركيز القدماء على فصيح اللّغة، بينما تركوا ما اختلف من اللهجات

> «وأودعوا تلك الفروق الجنسية في معرض التاريخ، على أنّ العلماء أنفسهم قد أضرحوا لهذه الفروق قبل أن تموت؛ وذلك لمكان القرآن من الوحدة اللّغوية» 34

وهذه صعوبات بحث جديدة في هذا المجال من تاريخ الكلمات، أبرزها نقص الأدوات لمعرفة اللغة معرفة علمية، فكتب القدماء «لا تشير إلى اللفظة المفردة وطرائق استعمالها عبر العصور» [35]. ولعلّ الذي غاب عن الأذهان حينها هو أنّ اللغة ميراث الأجيال وينبغي توريثها كاملة غير منقوصة، واليوم تتلاحق عصور العربية وما كان بالأمس معيفا مأبيا، هو للحاضر وثيقة تاريخية تغوص بالعربية في عمق الماضي تأريخا، وتزيد في امتداد مستقبل اللغة قوّة وصدى.

2.2.2. تدوين الفصيح وتحاشي العاميّ وإشكالية التغيير مرّة أخرى

يبدو أنّ القبض على المفردات بدلالاتها الاجتماعية والحضارية في عصور ازدهار العربية، قد كان مُقدّما على الاهتمام بملمح التغيير، لاعتقاد ما ساد فكر العلماء في أزمنة العربية الأولى، يقضي بأنّ التغيّر بكلّ أشكاله فساد في اللّغة. وسبب رفض التغيّر لا

32 .الدومنكي، الأب أ.س. مرمرجي. المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية. ص36.
33. وافي، علي عبد الواحد. 2004. علم اللغة. النهضة للطباعة والنشر والتوزيع. ص174-173.
34. الرّافعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب. ص122.
35. إبراهيم السامرائي. التطور اللغوي التاريخي. ص35.

يبعد أنّ يكون العامل الاجتماعي والدينيّ، فشدة تعلق القوم بلغتهم جعلهم يعتبرون كلّ خروج عن النّمط الموروث، وكلّ تجاوز للمسطر الذي درجوا عليه وألفوه لفظا ومعنى، بمثابة تحوُّل من محور إلى آخر تحوُّل من محور السلامة إلى اللّحن، وبموجب تلك السنن «سمّي التّغيّرُ لحنا بعد أن شُحنت اللفظة دلاليا بالتهجين كما سُميت ظاهرة التحوُّل فسادا»[36]. أحسّ علماء العربية هذا التغيّر واستشعروا أمره، وهذا ما دفعهم إلى التدوين الذي رأوا أنّه يؤدّي دورا ظاهرا في تعطيل مبدأ التغيير الكامن في اللغة، وذلك على اعتبار أنّ ما كُتِب ودُوِّن من اللّغة هو الشاهد الموثوق به إن ثبتت صحّته ونسبته، وهو اليوم أولى بالمحاورة والاستنطاق. استخلص العرب القوانين العامّة لنحو العربية، وقيّدوا المعاني الجوهرية للكلمات، لكنّهم لم يهتمّوا بالتغيّر، وقد كانت نقلة ميشال بريال لمباحث علم الدلالة مرتكزة على ركيزتين اثنتين، الأولى هي توظيف عنصر التاريخ في تحديد معاني الكلمات، والثانية هي استخلاص القوانين العامّة التي تحكم الظواهر اللّغوية[37]. ولمّا كان تشعب الظواهر سببا مباشرًا لتشعُّب اللّغات، صار كلام ميشال بريال تفسير جيّدا لمذهب القدماء في اتّجاههم في سنّ قوانين اللغة النموذجية دون غيرها؛ أي استخلاص القوانين العامّة للفصيح دون العاميّ، وتحديد فترة الاحتجاج الذي هو توظيف لعنصر التاريخ الذي قبلوا به ومنه فإنّ اجتهاد علماء العربية نابع من رؤيتهم التي أملتها المرحلة؛ مرحلة الخوف على ذهاب اللغة العربية الفصيحة المشتركة، تلك التي كانت هدفا مسطّرا دون غيره.

وإذا كان التغيُّر قانونا يفرض سلطته على كلّ اللغات دون تمييز[38] فقد كان التدوين ومازال يُسهم إلى حدّ ما في القبض على الدلالة وتثبيتها، لكنّه لا يمنعها من التغيّر، لذلك أثنت الباحثة «خديجة الحديثي» في سياق بحوثها لنحو العربية على علماء العربية وأشادت بجهود تدوين التراث، فقد أثنت عليهم بالقول :

> «لولا جهودهم لأصبح من يسمّى عربيا اليوم، لا يستطيع أن يفهم كتابه ولا ما كتبه أسلافنا، ولضاع الإسلام واندثر التراث وضاعت العربية بضياعهما» 39.

3.2.2. مستويان في مادّة المعجم وتكريس البعد الحضاري في المعجم التاريخي

دعا فيشر في حديثه عن المعاجم العربية، إلى ضرورة التأسيس لمعجم تاريخي يرصد العربية رصدا شاملا يجمع الفصيح والعاميّ، ذلك أنّ المعاجم العربية تشهد نقصا هاما، أساسه التخلّي عن ضم كلّ مفردات اللغة، حيث ركّزت معاجم العربية القديمة

36المسدّي، عبد السّلام. 1986. التّفكير اللّساني في الحضارة العربية. ط 2. ص94.

37 عياشي، منذر. 1996. اللسانيات والدلالة الكلمة. ط1. حلب سوريا: مركز الإنماء الحضاري. ص24.

38 باي، ماريو. 1998. أسس علم اللغة. ترجمة: أحمد مختار عمر. ط 8. عالم الكتب.

39 الحديثي، خديجة. 2007. تيسير النحو وبحوث أخرى. منشورات المجمع العلمي. ص426.

على الفصيح دون العاميّ، والرأي عنده أن قمّة الكمال لمعجم عصري أن يهتمّ بالجانب التاريخي لمفردات اللغة، فلا يقتصر على الشروح الشائعة، ويجب أن يضم كُلّ الكلمات التي تمّ تداولها فلا يُبق منها لفظا خارج المعجم، فجميع الكلمات في اللغة لها حقوق متساوية في المعجم ولها الحقُّ في أن تُدوّن دلالاتها بجميع أطوارها التاريخية، وذهب إلى أنّ المعاجم العربية استبعدت ونأت عن هذه الرؤية الشمولية، إذ سعت إلى الاهتمام بالجانب النموذجي وتحاشت المستويات الأخرى الممثلة في اللهجات المتباينة، ومنه فهي لم تُعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة[40]. وهي ملاحظة على جانب كبير من الأهميّة، لولا أنّ المفارقة تكمن في تجارب الدراسة التاريخية للكلمات في اللّغات الأوروبية فعلماء اللغتين الألمانية والفرنسية مثلا رغم ميلهم لرصد اللغة بجميع مستوياتها، إلاّ أنّهم تشبثوا في أبحاثهم التاريخية بالجانب الحضاري للغة، وقد كان شعار المجلّة الألمانية التي كانت تنشر أبحاثها بعنوان : «الكلمات والأشياء»

> words and things» مميّزا فقد حرصت على أن تلتحم الكلمات بروح الحضارة، وتكون هي الحدّ المُميّز للكلمات، فكان الشعار على أعلى الصحيفة التي نُشرت فيها تلك الأبحاث هو : «لا يمكن الاستمرار في بحث الكلمات منعزلا عن تاريخ الحضارة »41

وهذا حقّ مشروع للأمم في تحقيق تاريخ ألفاظها برصد الجوانب المشرقة، وهو ما يُبرز جانبا هاما من التناقض بين المطلب الحضاري للغة، وتساوي حقوق مفردات اللغة في دخول المعجم التاريخيّ، ذلك أن رصد الدلالة تقتضي تدوين الألفاظ مهما كان صنفها سواء تلك الألفاظ المنحطة التي تنبع من استعمال أطياف المجتمع بكلّ أوضاعهم، أم تلك الراقية التي تتفاخر الأمم بحيازتها، والسبب هو أنها قبضت على الأحداث بكلّ تفاصيلها وهو الأمر المطلوب.

انتحى المعجميون العرب منحى الفصيح لأسباب حضارية، وبالمقابل لم يقعّدوا للهجات ولم يُقنّنوا أحكام العاميّ والدخيل والمولّد من الألفاظ، لكنّهم ظلوا حريصين على تدوين مفرداته والإشارة إليه في كتب جانبية متى استدعت الحاجة والضرورة، فهو في حكم الغريب عن المستوى النموذجي. وعلى مدار التاريخ الطويل الذي مرّت به العربية كان التأليف في مفردات العاميّ مستمرا، ولا أدل على ذلك إلاّ ما ورد من كتب ومؤلّفات

40فيشر. أوجست.1967. المعجم اللّغوي التاريخي، القسم الأوّل من أوّل حرف الهمزة. ط 1. القاهرة مصر. المطابع الأميرية.ص7.

41أولمان، ستيف. 1972. دور الكلمة في اللغة. Stephen Ullmann Words And Their Use. ترجمة: كمال محمد بشر. ط3. ص194.

كثيرة في هذا السياق نحصي منها : لحن القدماء وهو عنوان مؤلَّف لمؤلّفين كُثُر منهم : أبو حمزة الكسائي ت191هـ، وأبو عبيدة ت209هـ، وأبو عثمان المازني ت248هـ، وأبو حاتم السّجستاني ت255هـ، وأبو حنيفة أحمد بن داود الدّينوري ت290هـ، وأبو بكر بن حسن الزّبيدي ت379هـ، وأبو الفرج البغدادي ت 958، وكذا مؤلّف لحن الخاصّة لأبي هلال العسكري ت395هـ، التّكملة فيما تلحن به العامّة، وشفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل لأبي منصور الجواليقي ت465 هـ، درّة الغوّاص في أوهام الخواص للحريري ت516هـ، غلطات العوام لإبن كمال باشا ت940 هـ، غلطات العوام للمولى مصطفى بن محمد ت 998هـ[42]. وهذه المؤلّفات جميعها لم تؤلّف خدمة للعاميّ، بل حرصا على نقاء الفصيح وفصله عن العاميّ، وهذا الأمر مرّة أخرى هو خصوصية برتبة مزية تميز العربية فتجعل التأليف عند القدماء على مستويين منفصلين هما الفصيح والعاميّ، وهي صالحة للتوظيف في المعجم التاريخيّ، سقنا هذا الكلام مرّة أخرى لإظهار أهداف التأليف وغاياته في المعاجم التراثية.

3.2. اللغة العربية تحدّيات ورؤى معاصرة في سبيل المعجم التاريخيّ

1.3.2. إعادة تصنيف فكرة التغيّر اللغوي

يخوض المعجم العربي معركة وجود جديدة، وتتأهب العربية اليوم لدخول عصور تاريخية أخرى، تحوّل المحدثون فيها إلى الإيمان « بالنظرة التاريخية وبالتطوّر الذي تستدعيه عوامل التطوّر المختلفة »[43]. لذلك سعى المعاصرون إلى معاودة النظر والتوجّه في سبيل معجم تاريخيّ للعربية، باعتبار أنّ معطيات جديدة جدّت في تاريخ العلوم المعاصرة، استدعت إعادة النظر في مفردات اللغة، ومن ثمّ لابدّ من إعادة التصنيف تنظيرا وتطبيقا. ولَإِنْ صنّف القدماء ما حدث للعربية من تغيّر بُعيد الفتح الإسلاميّ في خانة الفساد في لسان العرب، فقد جعله المتأخّرون تغيّرا طبيعيا في حياة الكلمات، مع تغاير الأزمان واختلاف العوامل التي تدور عليها الحياة، ومن طبع العامّة أنّهم يبدّلون ألفاظ اللغة تبديلا. ومنه فإنّ عرب الجزيرة أيضا قد بدّلوا ألفاظ لغتهم، واختلفت ألسنتهم حين ظهرت عوامل جديدة في حياتهم الاجتماعية والفكرية والدينية، وقد يأتي هذا التغيّر « إيجابيا إذا كان نتيجة تأثّر بحضارة أمّة من الأمم »[44]. أو بسبب عامل حضاريّ كما هو الأمر مع نزول القرآن الكريم باللغة العربية، فقد كان التغيّر ظاهرا في مستويين من مستويات العربية؛ أمّا الفصحى فقد نمت نموا سليما، لأنّ أوّل وأكبر رافد

42. مكرم، عبد العال سالم. د.ت. التعريب في التّراث اللّغوي مقاييسه وعلاماته. عالم الكتب. ص76.
43. السامرائي، إبراهيم. التطور اللغوي التاريخي. ص35.
44. السامرائي، إبراهيم. 1981. التطور اللغوي التاريخي. ط2. بيروت لبنان: دار الأندلس. ص 27.

أرفدها بالمفردات هو القرآن الكريم، الذي نزل بلسان عربيّ مبين وكان فضله ظاهرا غير مدفوع، لأنّه أغنى الحياة العلمية الجديدة بفيض مصطلحات من النص القرآني أو نتيجة الاحتكاك الحضاري.

أمّا اللّهجات فقد تغيّرت حسب سنن التغيّر، لكنّ رُفض تدوينها لخروجها عن قواعد السّلامة، ولمّا كان من سنن الحياة أن « يكون سير التغيّر سلبيا كما يكون إيجابيا »[45]. انتهى الأمر إلى ثروة هائلة دُوّن بعضها وغاب الكثير منها، لذلك نفى المحدثون في تأريخهم للمعجمية العربية الإحاطة بجميع ما أنتجته العربية من معجمات في هذه العصور الطّوال« فهذا ادّعاء ربّما لا يستطيعه بشرٌ»[46]. وهذا أمر معضل آخر في سبيل المعجم التاريخي، لا مجال لقهره إلاّ الصبر على حل الأقفال، وإنفاق الأعمار بحثا وتنقيبا لاستقراء مادُوِّن واستدراك مالم يتمّ التأريخ له، وكلّ جهد يُبذل في هذا السبيل سيكون مادّة مهمّة للاستقراء والتأريخ.

2.3.2. المدوّنة

أمام القوانين والسنن التي تتجاذب اللغات جذبا طبيعيا نحو التغيّر والانقسام والتوحد، تقف الكتابة والتدوين والفرز والتصنيف والتي هي عمل معجميّ بامتياز، تقف حائلا ضدّ التشتّت، إنّه يحفظ تاريخ الألفاظ ويمنعها على الدهر أن تضمحلّ. وإنّ ما دُوِّن من معاجم العربية خلال تاريخها الطويل هو المدوّنة؛ وبناء معجم العربية التاريخيّ المعاصر يقتضي اعتمادها أساسا للمعجم الحديث مع التوسع في دواوين الشعراء وكتب الفقه والفكر والاجتماع والتاريخ والنحو والكلام والتصوّف والكلام والعلوم.... فلا وجود للمجتمع المستعمل للمفردات في أزمنتها القديمة، ولا وجود لتلك الأحداث المُنقضية ! التي ولاشكّ تلاشت ملامحها الاستعمالية، لكن بقي بين أيدي الباحثين ما دوّنه التاريخ العام وكتب اللغة ومعاجمها، فقد باد الماضي الحيّ بكلّ تجلّياته، ولم يبق إلاّ مُدوّن المفردات وهي صالحة للمحاورة والاستنطاق، بل هي الشاهد الوحيد على ذلك الماضي مهما كانت رتبته في الزمن، ومهما كان المعنى من بين المعاني التي مرّت على تاريخ الكلمة.

بعض تلك المفردات مازال حيا مستعملا بدلالته القديمة والبعض تبدّلت معانيه، ولا سبيل إلى القديم منه إلاّ أن تُقلبّ النقوش والخطوط، وتُنقب بطون الكتب والمعاجم والدواوين بما حفظت من تاريخ الكلمات، بحثا عن دلالات الكلمات في النصوص بسياقاتها التاريخية، التي تتلامح وتختلط فيها أوجه الدقة والانضباط والانتقال والتغيّر والرقيّ والابتذال، وما شئت ممّا يصح قوله في تاريخ الكلمات من الماضي السحيق، وهو

45. السامرائي، إبراهيم. التطور اللغوي التاريخي. ص29.

46. نصّار، حسين. د.ت. المعجم العربي نشأته وتطوّره. د ط. ج1. مكتبة مصر. ص 7.

وجه الصعوبة السافر. وقد نزع التوجه الجديد للمعجم العربي الحديث إلى « مبالغة في التحرّي، وزيادة في التنقيب، ومراعاة صحّة الدلالة، وأخذها على الوجه الطّباقيّ »[47]. وهذا أمر معضل شاق، لأنّه يقتضي عملية مسح شاملة لذلك التاريخ الطويل، وماعُدّ عند القدماء خارج عصور الاحتجاج، هو اليوم في قلب العمل ومن صميم الفصاحة، فالرأي أنّه لو تمّ تخطّي حدود الزّمن، والتّمديد في زمن السّماع لكان يمكن أن تتغير المدوّنة التّي أسّست عليها قواعد النّحو ولكانت هناك الكثير من المفردات التي دخلت المعاجم، « لأنّ تغيّر اللّغة ليس فسادا فيها والشّعراء القدامى ليسوا أحقّ من المحدثين بالرّواية عنهم »[48]. لقد حاول منظرون كثر تقديم الخدمة للمعجم التاريخي للعربية من جميع جوانبه، فاهتم رشاد الحمزاوي في نقده لمنهج المعجم العربي التراثي بمسألة استقراء الرّصيد، وضبط مصادر المعجمات العربية، والاعتناء بمراجعة مادة المعجم وذلك من خلال عمليتي الجمع والوضع، وهو ما يمكن أن يكون هو الآخر « مدخلا إلى المعجم التاريخي العربي الذي نحن في أشدّ الحاجة إليه، ليكون مرجعا أساسيا للخلافات اللّغوية»[49].

3.3.2. الوفرة وتمدّد شبكة العربية الحديثة مزيّة وصعوبة

على خلاف لغات أخرى كثيرة تعاني النقص والقصور، فهي تنقّب في كلّ قديم أملا في أن يكون مستندا يوثّق تاريخها، نجد أنّه لا يُحيط بلغة العرب إلاّ نبيّ، وفي حين لا تجد بعض اللّغات إلا وثائق قليلة لتدوّن تاريخ كلماتها القليلة، بل قد تسطو اللغات الحديثة على كتب لغات قديمة تستمد منها نجد أنّ صدى العربية قد رنّ في ثروة لغوية وفكرية ضخمة، أعجزت كبار المؤرّخين عن التأريخ للعربية وآدابها وعلومها، عبّر «كارل بروكلمان » عن استحالة الأمر بسبب « الكثرة والوفرة التي تضيع معها معالم البداية والنهاية»[50].

ولا خلاف في أنّ رصيد المفردات للغة ما يشكّل احتياطها ومخزونها الذي تلجأ إليه، إلاّ أنّ تغيّر نظم الحياة الحديثة جعل « للكلمة في الأساليب العلمية الحديثة قيمة كبيرة، فهي تحيا حياة متطوّرة متجدّدة وهي أبدا في تغيّر في دلالاتها، وفي طرائق استعمالها »[51]. فهي حيّة ناشطة تتوالد باستمرار تقذف بالجديد في كلّ حين وزمان، وهي ضرورة بسبب

47. العلايلي، عبد الله. د.ت. مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد. القاهرة مصر: المطبعة العصرية. المقدمة ص أ

48. حمزة، حسن. الوحدة والتّنوّع في النّظرية النّحوية العربية. ص82.

49 .الحمزاوي، محمد رشاد. 1986. من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا. ط1. . ص49.

50. بروكل مان، كارل. تاريخ آداب العرب.

51. السامرائي، إبراهيم التاريخي. ص36.. التطور اللغوي

الاستخدام لهذا الجديد[52]. فكلمة قطار التي أخذت في الجاهلية معاني التتابع واقترنت غالبا بتتابع قطرات الماء، انتقلت في العصر الإسلامي إلى فكرة التتابع، كتتابع الإبل والبغال والحمير والناس ومنها قطار النمل دلالة على تتابع النّمل، ثم صُرِفت بالمجاز إلى معان أخرى منها قطار العمر، قطار المنايا، قطار الأماني، قطار النصر، قطار الجود، قطار الكلمات، ومنه قطار الزواج، وفي العصر الحديث هو قطار البضائع والمسافرين[53] كلمة حكومة كلمة متطوّرة عبر العصور، فهي في العصر الجاهلي نظام الحكم وهو معنىً اتّفق عليه المستعملون في جميع أطراف الجزيرة بمعنى رئاسة القبيلة والأحلاف، والحكومة هي ما يحكم به الحاكم في خصومات الناس فهي بمعنى الخصومة، والحكومة في العصر الحديث نظام سياسي وهي أيضا جماعة من رجال الدولة المحسوبين على نظامها وإدارتها[54]. الملاحظ هو أنّه لا تتأسّس الدلالة الجديدة إلاّ على الأصل القديم، وكلُّ مفهوم جديد حقّ الجدّة، لابدّ أن يحدث القطيعة مع المدلول السابق ولكنّه لا يمكن أن يشكّل قطيعة جذرية تامّة يُمحى فيها الأثر القديم، بل إنّ التاريخ السليم هو الذي يجمع الماضي بالحاضر وينطلق بالإرث والتجديد معا. والملاحظ أيضا هو أنّ التطور يحدث بسلاسة، ولا يخرج عن بعض الأطر التي لا يتّسع المجال للتفصيل فيها، وهي مساحة لأوراق بحثية أخرى أن شاء اللّه تعالى.

خاتمة ونتائج الورقة البحثية

عبث وعبق التاريخ تلك العوامل التي تمرّ على المعالم في الزمان والمكان بما فيها المفردات، فتجعلها شبكة معقّدة متجانسة أو غير متجانسة، حسبما يُساق لها في تاريخها، ومستقبل المعجم التاريخيّ برمّته مرهون بتلوُّن المفردات بعوامل التاريخ. فالمطلوب هو عدم التجنّي على الحقائق كي لا يُصاب المعجمُ بالوهن وتضطرب موادُّه ويبطل مفعوله وهو وجه الخطر، وقد خلصت نتائج الورقة البحثية إلى ما يلي :

1. المعجم التاريخي ضرورة تطلبها مفردات اللغة الحيّة المتطوّرة، والمعجم التاريخيّ لا يلغي المعاجم اللغوية التراثية والحديثة، لذلك فالمعجم التاريخيّ معجم مفتوح، يتغذى ممّا اختطّه القدماء ودوّنوه، في مختلف المصادر
2. حرص القدماء على المعاني الجوهرية للكلمات بسبب خصوصية العربية وارتباطها الدّائم بالقرآن الكريم، وقد وجد القدماء هذا الطرح مناسبا لزمن العجمة التي أحاطت بالعربية من كلّ جهاتها،

52. عبد العزيز، محمد حسن. المعجم التاريخي. 2008.المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج. ط1. دار السلام ص288.

53. عبد العزيز، محمد حسن. المعجم التاريخي. ص 363.

54. عبد العزيز، محمد حسن. المعجم التاريخي. ص363

3. فصل القدماء بين الفصيح والعاميّ، فجمعوا فصيح المفردات في المعاجم بينما أضرحوا للهجات، وجمعوا ما أمكن من الدخيل والمولّد والمعرّب فيما تيسّر من مؤلّفات تمييزا له عن الفصيح، وتركوا العاميّ لسنة التطوّر مع التنبيه على العجمة والرطانة، وفي هذا السلوك العلمي تنبيه على أهدافهم من التأليف المعجميّ في تلك المرحلة من مراحل تاريخ العربية،

4. استشعر المُعجميون وفلاسفة اللغة وعلماؤها روابط القرابة بين العربية والسامِّيات، لكنّهم لم يُمعنوا في تقصّي أبعادها تكريسا لمبدإ اللغة النقية والفصيح من الكلام، فالجهد منصبٌّ وبقصدية على العربية دون غيرها، بفعل عوامل الانتماء والعصبية،

5. فكرة اللغة النقية تظلّ ملازمة للمعجم مهما كان نوعه، ولا يضير المعجم التاريخي للعربية الحديثة من الاغتناء بألفاظ جديدة دخيلا واقتراضا وترجمة، وحتى ما ابتدعه العامّة. لكن مع ضرورة جريانها على القياس،

6. ضخامة المادّة المعجمية في العربية، وصعوبة فك أقفالها، تفرض وتكرّس صفة المعجم التاريخيّ المفتوح فلم يبق إلاّ إنفاق الأعمار بحثا وتنقيبا فيما كُتِب، لجمع شتاته واستدراك تأريخه، ولعلّ فقدان الحرص هو وجه الصعوبة التي تهدّد البحث في المعجم التاريخيّ، كما أنّ التحلّي بروح المسؤولية هو ورقة النجاح الفعّالة،

7. تفتح هذه الورقة البحثية المجال للتركيز على جهود المجامع اللغوية العربية الحديثة، الكثيرة المترامية في أطراف البلاد العربية، ورصد الطريق الذي شقّه الفاعلون في سبيل المعجم التاريخيّ؛ معجمَيْ الدوحة والشارقة قراءة واقتداءً وتقريبا وتنظيرا واهتماما.

8. المطلوب: إنّ القيام بواجب المعجم التاريخيّ يقتضي أن يعاد توجيه البحث العلميّ وجهة الثروات المعجمية وصلا لماضي الأمّة بحاضرها ومستقبلها فيتم :

- تحديد أدوار المجامع إزاء هذه المسؤولية التاريخية العظيمة،
- توسيع شبكة العاملين المؤهّلين لخدمة المعجم في الجامعات العربية، وفي مختلف التّخصّصات العلمية،
- توسيع شبكات البحث في التأريخ لتطوّر دلالات المفردات الحديثة.
- يتجدّد الرّجاء في أن يعاد توجيه طلبة العلم وجهة الثروات المعجمية، وصلا لماضي الأمّة بحاضرها ومستقبلها.

المراجع

ابن حزم. أبو محمد علي بن أحمد.د ت. الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق: أحمد محمد شاكر ج1.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. 1963. الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها. تحقيق: مصطفى الشّويمي. بيروت لبنان: بدران للطّباعة

أنيس، إبراهيم. 1976. دلالة الألفاظ. ط 3. مكتبة الأنجلو المصرية.

أولمان، ستيف. 1972. دور الكلمة في اللغة. Stephen Ullmann Words And Their Use. ترجمة : كمال محمد بشر. ط3.

باي ماريو 1998 .Pei Mario. أسس علم اللغة. ت : أحمد مختار عمر. ط8. عالم الكتب.

بروكلمان، كارل. 1968. تاريخ الشعوب الإسلامية. تح : منير البعلبكي. نبيه أمين فارس. ط5. بيروت لبنان : دار العلم للملايين

البغدادي، عبد القادر بن عمر. 1969. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. ت : عبد السلام هارون. ج1. بيروت لبنان : دار الكتاب العربي

ترزي، فؤاد حنا. د ت. في أصول اللغة والنحو. د.ط. م.ط. بيروت لبنان : دار الكتب.

الجرجاني، القاضي علي عبد العزيز. 2006. الوساطة بين المتنبّي وخصومه. ت : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. ط1. صيدا بيروت. لبنان : المكتبة العصرية

الحديثي، خديجة. 2007. تيسير النحو وبحوث أخرى. منشورات المجمع العلمي.

حسّان، تمّام. 1998. اللغة العربية معناها ومبناها. ط 3. عالم الكتب.

الحمزاوي، محمد رشاد. 1986. من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا. ط1. دار الغرب الإسلامي.

حمزة، حسن. 2012. الوحدة والتنوُع في نظرية النحو العربيّ. دراسة ومعجم. الطبعة الأولى. لبنان : مكتبة لبنان ناشرون

الدومنكي، الأب أ س مرمرجي. 1937. المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية. مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس

دي سوسير، فرديناند. 1986. محاضرات في اللسانيات العامّة. ت : يوسف غازي مجيد النّصر. الجزائرية للطباعة.

الرّاجحي، عبده. د.ت. النحو العربي والدّرس الحديث. عن محمود أحمد نحلة أصول النحو العربي.

الرّازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان. 1994. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية. ت : حسين بن فيض الله الهمداني. صنعاء. اليمن : مركز الدراسات والبحوث اليمنيّ

الرّافعي، مصطفى صادق. 1997. تاريخ آداب العرب. مراجعة وضبط : عبد اللّه المنشاوي. مهدي البحقيري. ج1. مكتبة الإيمان

السامرائي، إبراهيم. 1981. التطور اللغوي التاريخي. ط2. بيروت لبنان : دار الأندلس.

السّامرّائي، فاضل صالح. 2000. معاني النحو. ج1. ط1. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد العزيز، محمد حسن. المعجم التاريخي.

العلايلي، عبد الله. د.ت. مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد. القاهرة مصر: المطبعة العصرية. المقدمة ص أ

عياشي، منذر. 1996. اللسانيات والدلالة الكلمة. ط1. حلب سوريا : مركز الإنماء الحضاري.

فاندرياس. د ت. اللغة. ت : عبد الحميد الدواخلي. ومحمد القصاص. مكتبة الأنجلو المصرية.
فريحة، أنيس. 1981. نظريات في اللغة. سلسلة الألسنية. بيروت. لبنان : دار الكتاب اللبناني.
فيشر، أوجست.1967. المعجم اللّغوي التاريخي، القسم الأوّل من أوّل حرف الهمزة.ط1. القاهرة مصر. المطابع الأميرية
القاسمي، علي. 1991أ. علم اللغة وصناعة المعجم. ط1. المملكة العربية السعودية : عمادة شؤون المكتبات. جامعة الملك سعود
القاسمي، علي. 2019. علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية. ط2. بيروت لبنان : مكتبة لبنان ناشرون
ماطوري، ج. 1993ب. منهج المعجمية مع مقدمة للمؤلف خاصّة بالقارئ العربي. ت : عبد العلي الودغيري. الرباط المغرب : مطبعة المعارف الجديدة.
مبارك، مبارك. 1995. معجم المصطلحات الألسنية. فرنسي إنجليزي- عربي. ط1. بيروت لبنان : دار الفكر اللبناني
المسدّي، عبد السّلام. 1986. التّفكير اللّساني في الحضارة العربية. ط 2. الدار العربية للكتاب.
مكرم، عبد العال سالم. د.ت. التعريب في التّراث اللّغوي مقاييسه وعلاماته. عالم الكتب.
نصّار، حسين. د.ت. المعجم العربي نشأته وتطوّره. د ط. ج1. مكتبة مصر.
وافي، علي عبد الواحد. 1983أ. اللّغة والمجتمع. ط1. شركة مكتبات عكاظ.
وافي، علي عبد الواحد. 2004ب. علم اللغة. النهضة للطباعة والنشر والتوزيع.

مستخلص

يهتم المعجم التاريخي برصد التغير الدلالي لكلّ مفردات اللغة عبر خط الزمن كيفما امتد طوله، وهذا أمر مُعضلٌ؛ مُجهد شاق، لأنّ عملية استخراج الدلالات المختفية من بقايا الألفاظ، هو استقراء للكلمات التي هي آثار تاريخية، يعتورُها الوضوح والغموض والضبابية والتعتيم والقدرة على التملّص، وحتّى ثبات الدلالة عند منعرج تاريخيّ محدّد، وهو وجه الصعوبة السافر. لم يكن هذا الأمر ليُعجز المتقدمين من علماء العربية، الذين رفضوا فكرة التغيّر وأودعوا المُتغيّر في خانة الفساد والمعيف من اللغة، ثم نزعوا إلى الفصيح الذي ألفوا معانيه، وهرعوا إلى تدوينه خوفا على ذهابه، في حين أهملوا الأصول السامية، وأضرحوا للفروق اللّهجية قبل أن تستشري فتمتدّ إلى الفصيح، وما ذلك إلاّ لمكانة القرآن من وحدة اللغة

تتأهّب العربية اليوم لدخول أزمنة جديدة، غدا فيها المعجم التاريخي مطلبا حضاريا؛ تطلبه مفردات اللغة الحية المتطوّرة. وإذ لا تنازل عن أبجدية اللّغة ميراث الأجيال، فقد انتقل المعاصرون إلى فكرة رصد التغيّرات الدلالية، والرّأي أنّ ما كان بالأمس معيفا مأبيا، هو اليوم وثيقة تاريخية تغوص بالعربية في عمق الماضي تأريخا، وتزيد في مستقبل اللغة قوّة وامتدادا.

كلمات مفتاحيّة

المعجم التاريخي، التغيّر الدلالي، البعد الحضاري، الضرورة العلمية

Résumé

Le dictionnaire historique s'efforce de retracer l'évolution sémantique de tout le vocabulaire linguistique à travers le temps, quelle que soit sa durée. Cette tâche est ardue et nécessite des efforts considérables en raison du processus complexe de déchiffrement des significations sous-jacentes contenues dans les restes de mots. De tels mots servent d'artefacts historiques, souvent obscurs, ambigus, opaques voire sémantiquement instables, surtout à des moments historiques cruciaux. Les premiers érudits arabes n'étaient pas disqualifiés pour traiter cette question, rejetant dans un premier temps la notion de changement linguistique et qualifiant le produit linguistique de la variabilité comme décomposé et abandonné. Ensuite, ils ont défendu la préservation de la langue éloquente familière, la documentant à la hâte pour éviter sa perte, tout en ignorant les principes linguistiques sémitiques. Ils ont également contourné les disparités dialectales avant leur prolifération et leur intégration dans un discours éloquent, soulignant ainsi le statut unique du Coran dans le maintien de l'unité linguistique. À l'époque contemporaine, l'arabe est sur le point d'entrer dans une nouvelle ère où le dictionnaire historique constitue une nécessité civilisationnelle cruciale. Cet impératif découle du vocabulaire en constante évolution de la langue vivante. Les chercheurs modernes préconisent de surveiller les changements linguistiques, car il n'est pas envisageable d'abandonner l'héritage linguistique des générations passées. Il existe une opinion dominante selon laquelle ce qui aurait pu paraître inefficace dans le passé revêt désormais une importance en tant que document historique, enrichissant l'arabe de ses profondes racines historiques et renforçant la force et l'expansion futures de la langue.

Mots-clés

Dictionnaire historique, changement sémantique, dimension civilisationnelle, nécessité scientifique

Abstract

The historical dictionary endeavors to track the semantic evolution of all language vocabulary throughout time, irrespective of its duration. This task is daunting and requires considerable effort due to the intricate process of deciphering the underlying meanings embedded within word remnants. Such words serve as historical artifacts, often appearing obscure, ambiguous, opaque, and even semantically unstable, especially at pivotal historical junctures. Early Arabic scholars were not disqualified to deal with this issue, initially dismissing the notion of linguistic change and categorizing the linguistic product of variability as decomposed and abandoned. Then, they championed the preservation of the familiar eloquent language, hastily documenting it to prevent its loss, while disregarding Semitic linguistic principles. They also circumvented dialectal disparities before their proliferation and integration into eloquent speech, thus highlighting the unique status of the Qur'an in maintaining linguistic unity.

In contemporary times, Arabic is poised to embrace a new era where the historical dictionary serves as a crucial civilizational necessity. This imperative arises from the continuously evolving vocabulary of the living language. Modern scholars advocate for monitoring linguistic changes, as it is not an option to abandon the linguistic heritage of past generations. There is a prevailing opinion that what may have seemed ineffective in the past now holds significance as a historical document, enriching Arabic with its deep historical roots and bolstering the language's future strength and expansion.

Keywords

Historical dictionary, semantic change, civilizational dimension, scientific necessity